

الفصل الخامس

الأدب العبري يكرس لثقافة الحرب

منذ اللحظة الأولى لميلادها سخر الأدب نفسه لتثبيت الأفكار الصهيونية وتشويه صورة العربي في محاولة لإثبات مزاعمهم الكاذبة بأنهم شعب بلا أرض جاءوا ليسكنوا أرضاً بلا شعب. وفى البداية لعب الأدب العبري دوراً كبيراً لمحاولة رفع معنويات المهاجرين الأوائل خاصة بعدما شعر يكذب الشعار الصهيونى الذى أوهمهم بأنهم ذاهبون إلى أرض اللبن والعسل، لكنهم وجدوا أنفسهم فى جيتو أسوأ من الجيتو الأوروبى الذى تركوه.

بعد ذلك بدأ الأدب يعبر عن أشكال المقاومة الفلسطينية التى رفضت المهاجرين الأوائل واصطدمت بهم، ومن ثم شكلت هذه المقاومة أحد الموضوعات الأساسية التى تناولها الأدب العبري فى فلسطين فى البداية^(١).

وبالطبع سخر الأدب نفسه لخدمة الأفكار الصهيونية وتعمدت القصص العبرية تشويه صورة العربي والتقليل من شأنه وإظهاره بصورة همجية وحقشية^(٢).

وبالرغم من أن الأدب فى التجربة الإنسانية وعلى مر التاريخ الإنسانى الطويل كان - ولا يزال- وسيلة الإنسان للدفاع عن الجمال والخير والقيم الإنسانية النبيلة ونافذته للتمتع بالتجربة الإنسانية وسبر أغوارها والتعرف إلى أسرارها وآلامها وأفراحها فإن تجربة الأدب الصهيونى هى التجربة التى شذت عن مسار الأدب الإنسانى عبر تجاربه الطويلة الغنية. وقد تكون الأولى من نوعها التى توظف الأدب للقيام بعمليات تضليل كبرى تربي عليها أجيالا متعاقبة من الإسرائيليين معبأة بالكراهية والحقد واحتقار الآخر، مزودة بالأكاذيب والتاريخ المزور والأضاليل^(٣).

ومن ثم يصبح من الصعب على هؤلاء أن فقهوا معنى السلام أو أن يحترموا متطلباته وشروطه.

(١) دراسة د. محمد أبو غدیر- سلسلة تحقيقات- آخر ساعة ٢ فبراير ٢٠٠٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) د. لطيفة النجار، مقال ٧-٦-٢٠٠٦ على موقع المجموعة ١٩٤.

والأدب العبرى أو الكتابات العبرية بصورة عامة هي ثمرة لعقلية إسرائيلية تختزل في داخلها تجارب وخبرات مختلفة مرت باليهود منذ ظهورهم في المنطقة الممتدة ما بين بلاد النهرين وحتى فلسطين الحالية تحت مسميات شتى تبدأ بالعبرانيين ثم اليهود وأخيراً الإسرائيليين^(١). وقد امتدت هذه المسيرة قرونًا عديدة اصطدم اليهود خلالها بأمم وشعوب بادلتهم العداء والكراهية بسبب تمسك اليهود بمجموعة من المعتقدات والأساطير التي تجعلهم شعباً مميزاً لا يشبه الآخرين في شيء حتى اعتبروا أن الله سبحانه تعالى هو رب اليهود فقط، وأنهم شعب الرب، أما الآخرون فهم من وجه نظرهم خارج هذا الإطار الذى يجمع بينهم فقط وبين الرب في علاقة أزلية يحدد مسيرتها ويوجهها ما يسمى بالميثاق أو العهد الموقع بين رب إسرائيل وشعبه^(٢).

من هنا نرى أن اليهود عبر التاريخ قاموا بتحديد إطارها حتى لا يجمعهم بالأغيار من غير اليهود، والذين هم من وجهة نظرهم - بعيدون عن رحمة الله ومحبته، وكان طبيعياً أن يؤدي هذا إلى نوع من القطيعة أو الريبة المتبادلة بين اليهود وشعوب العالم كافة. وساعد على ترسيخ هذا النهج، ما تعرضت له الجماعات اليهودية خلال قرون من تجوالها في أوروبا من ممارسات اتسمت في بعض الأحيان بالشدة والغلظة، والتي نبعت في أغلب الأحوال من العداء المخترن في قلوب المسيحيين تجاه اليهود باعتبارهم من نسل هؤلاء الذين تربصوا بالمسيح عيسى بن مريم وكانوا سبباً في النهاية التي آل إليها^(٣).

وإلى أن بدأت الهجرات الصهيونية الحديثة إلى فلسطين منذ بدايات القرن العشرين لم يكن المسلمون يحتلون في الكتابات اليهودية ما احتله غير المسلمين، فحتى هذه الفترة لم يكن المسلمون من المتربصين باليهود أو المطاردين لهم في كل زمان ومكان، بل اعترفت الأدبيات اليهودية بفضل المسلمين على اليهود نظراً لمعاملتهم معاملة إنسانية كفلت لهم العمل الجسماني والعقلي، اليهودية تجربة تامة أثمرت صدور العديد من المؤلفات اليهودية التي تعترف في كل صفحة من صفحاتها بفضل المسلمين تسامحهم مع اليهود^(٤).

ولخص المفكر الإسرائيلي المعاصر «وان بار أون» النظرة الإسرائيلية اليهودية المتوارثة إلى الأغيار عامة والمسلمين خاصة حين قال: بأنه من المتعارف عليه أننا نحن اليهود تحدد الموقف الخاص

(١) د. محمد أبو غددير - المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

بنا تجاه الأغيار من غير اليهود، وقد تغير هذا الطرف وتبدل بمرور الوقت إلى أن بات العرب أو المسلمون هم الطرف الآخر الأساسى والعدو الأول لنا^(١).

وسبب هذا التحول فى الموقف الصهيونى من العرب والمسلمين هو الصراع الذى تفجر فى فلسطين بسبب الهجرات اليهودية والمخططات التى استهدفت إقامة وطن يهودى على أرض فلسطين، حتى إن هذا الصراع الذى تفجر على أرض فلسطين شكل فى نظر المؤرخين اليهود مصدر الدفع الرئيسى لبناء المجتمع الاستيطانى اليهودى فى فلسطين، أو كما ذكر دكتور إسرائيل لندراس من أن المجتمع اليهودى الحديث يدين بالشىء الكثير للصراع اليهودى العربى الإسلامى حتى إن الحركة الصهيونية نبذت فكرة الصراع المتوارثة مع الآخرين وجعلته قاصراً على العرب الذين يقفون فى وجه مخططاتها فى المنطقة^(٢).

وما إن وطأت أقدام المهاجرين اليهود أرض فلسطين أوائل القرن العشرين حتى اصطدموا بمقاومة فلسطينية ورفض متعدد الأشكال لهذا الزحف الذى يهدد مستقبل بلادهم، لذلك شكلت المقاومة الفلسطينية المدعومة عربياً أحد الموضوعات الأساسية التى تناولها الأدب العبرى فى فلسطين.

فكان مطلوب من الأدب العبرى - فى تلك الفترة - القيام بدور لرفع معنويات المهاجرين اليهود خاصة بعد أن شعر بعضهم بكذب الشعار الصهيونى القائل بأنهم ذاهبون إلى أرض بدون شعب، أرض الآباء والأجداد، أرض اللبن والعسل، لذلك بدأ بعضهم فى العودة إلى البلاد التى قدموا منها بعد أن شعروا أنهم تركوا الجيتو الأوروبى ليجدوا أنفسهم فى جيتو آخر أسوأ منه. من هنا عمل الأدب فى ذلك الوقت - على تشويه صورة العربى - والذى اختزل فى مصطلح المسلم - والتقليل من شأنه، فالعرب أو المسلمون فى القصص العبرية التى ظهرت قبل قيام إسرائيل هم قوم متخلفون لا يهتمون بنظافة أجسادهم ولا يعرفون الرحمة أو الشفقة يقتلون اليهود ويسرقون ممتلكاتهم^(٣).

وبرز الأديب موشيه سمبلا نسكى فى هذا المجال وجعل من العرب المسلمين قوم غير متحضرين حتى إن بطل قصته التى تحمل عنوان «سافك الدماء» هو شاب مسلم يعشق ابنة شقيقه الأكبر التى تبادلته العشق والغرام وتتفق معه على الزواج، لتتحول هذه القصة إلى أحاديث يومية يرددها جميع أهل القرية التى يعيشون فيها، بل ويتعاملون معها كأنها شىء طبيعى

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

متعارف عليه وشائع في الوسط الإسلامي، ويسهب الكاتب في الحديث في تفاصيل هذه العلاقة ويتحدث عن المرأة المسلمة كأنها دمية تباع وتشتري^(١).

موقف سمبلا نسكي لا يقتصر فقط على تلك القصة وإنما تكرر ذلك في العديد من قصصه التي تم جمعها في ثلاثة مجلدات ضخمة حملت عنوان «أبناء العرب».

وإذا كان سمبلانسكي أظهر المسلمين على أنهم قوم متخلفون فإن الأديب «إسرائيلي زرحي» في بعض أعماله أظهرهم في صورة البشر الذين لا يعرفون معاني الإنسانية ولا يراعون حرمة الموت. فيصف في إحدى قصصه كيف تصرف سكان إحدى القرى الفلسطينية مع جثث مجموعة من القتلى سقطوا في معركة وقعت بين الأتراك والإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى - فجاء في روايته:

أخذ المسلمون يتسللون إلى حيث تتناثر جثث القتلى من البريطانيين والأتراك ليجردوهم من كل شيء ثمين، بل كانوا يقطعون أصابعهم التي بها خواتم ذهبية أو يقتلعون الأسنان المصنوعة من الذهب من أفواه القتلى^(٢).

وعلى هذا المنوال سار أغلب الأدباء العبريين في تعاملهم مع الإنسان العربي أو المسلم الذي احتل في أعمالهم القصصية والأدبية نفس الوضع الذي كان يحتله المواطن المسيحي الأوربي قبل بدء الهجرات اليهودية إلى فلسطين، حتى إن أحد المفكرين الصهاينة يعلن بكل صراحة «ألم يكن على بنى إسرائيل أن يحاربوا أو يقاتلوا أهل فلسطين القديمة بعد خروجهم من مصر من أجل السيطرة على الأرض وزراعة كرومها؟ وينتهي بالقول لولا ما فعله اليهود في فلسطين من العصر الحديث، لما تسنى لهم زراعة كرومها من جديد وفلاحتها^(٣)».

وكان من المنتظر أن تتغير طريقة تناول الأدب العبري بعد قيام الدولة، وبعد أن أصبح لليهود وطن خاص بهم ولديه مؤسسات وأجهزة عسكرية ومدنية، ولم يعد سكان إسرائيل يعيشون بين أغلبية غير يهودية تحيط بهم من كل جانب كما كان الوضع في مرحلة ما قبل الهجرات اليهودية إلى فلسطين وقيام الدولة، لكن ما حدث هو العكس حيث اتسع مجال تناول شخصية العربي المسلم في الأدب العبري ليشمل إلى جانب الفلسطينيين أولئك العرب الذين ينتمون إلى العالم العربي المحيط بإسرائيل، والذي خاض معارك ١٩٤٨ والحروب الأخرى التالية^(٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

وتحولت نظرة الأدب العبرى للفلسطينى من إنسان محارب إلى إنسان مستضعف فقد الجزء الأكبر من وطنه، ورحل غالبية أهله إلى الضفة أو القطاع أو هاجروا إلى الدول العربية المجاورة، فأصبح إنساناً بلا وطن وبلا هوية، بعد أن صورته رواياتهم الأولى باعتباره محارباً متربصاً باليهود ومهاجماً لمستعمراتهم وقواعدهم العسكرية^(١).

ولعب الأدب العبرى دوراً كبيراً فى خلق رأى عام مؤيد لإسرائيل. فقد خدمت رواية المؤلف - أكسودس (الخروج) الدعاية الصهيونية وإسرائيل أكثر من أى كتاب سياسى، ولعل الأثر النفسى الذى أحدثته كتابات وروايات «نيسكر» وهرتزل وأحاديها عام لا يقل أهمية عن أثر كتاباتهم السياسية والأيدولوجية. كما ركزت جورج أليوت اهتمامها فى كتابها «دانيل ديروندا» على تفسير اصطلاح شعب الله المختار. وهى ترى أنه يعنى أن الله اختار اليهود لينقذوا الإنسانية، فوجود اليهود هو وجود فى سبيل الشعوب الأخرى. ويذهب البعض منهم أيضاً إلى القول بأن أسبقية الدين اليهودى تعطى للإنسان اليهودى أسبقية فى الوعى والقيمة على بقية البشر.

ويتمتع البطل اليهودى فى قصص العبرى بقدرات خارقة وبطولة غير عادية. ويمكن للمرء أن يدرك ذلك فى ضوء كون الإله يقف إلى جانب هذا البطل ويحقق له المعجزات، أما أن يظل هذا البطل كذلك فى الأدب المعاصر فهذا ما لا يمكن للمرء أن يستوعبه، لكن يبدو أن الروايات الصهيونية وضعت قاعدة البطولة والبطل المعصوم والمتفوق التى تظهر فى كثير من الأعمال الأدبية، حتى البطولات اليهوديات يظهرن أيضاً جميلات متناسقات جسدياً، حتى الشخصيات المعوق جسدياً - تعانى من العرج مثلاً - فإن هذا العرج اليهودى له سحر خاص - يحمل رسالة تنوير ويتميز بالشجاعة والتضحية بحب البناء والعمل ويكره الكذب والظلم ويتميز بالنقاء والتفوق الأخلاقى.

وصورت القصص العبرية بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ العربى فى أبشع صورة فقد كان العربى فى الأدب العبرى يشكل كابوساً مزعجاً تسيطر عليه نزعات الشر والعدوان ويهود كيان إسرائيل وحضارتها. وصورة العربى عند الكاتب الإسرائيلى «هودا بورلا» مجرد من الشعور القومى فيه جشع للمال يميل إلى الخيانة كى يحصل عليه، بينما اليهودى مضح منكر للذات مخلص فى أداء واجبه، والعربى حيوان.

ويصور الأدب العبرى أيضاً العربى باعتباره شرها للجنس وتوجهه للمرأة هو توجه جنسى مجرد يهدف إلى الإشباع فقط لذلك فهو مزواج متعدد الزوجات. كما يظهرهم أيضاً فى صورة البدناء المترهلون تتدحرج كروشهم أمامهم إن مشوا، سحتتهم داكنة قبيحة النظر، وهى مرتع خصب للجدرى والملاريا والجذام وأمراض أخرى.

(١) الرجوع السابق.

وقد وصل الأمر ببعض الكتاب أن وضعوا اليهودى إلى درجة قريبة من مرتبة الإله! أما الصهيونى فنصف إله حيث يتميز بالقوة والنضال والجرأة والعدل، وهو معصوم من الخطأ مستقيم، يثير الاحترام ومشاعر الهيبة والجلال والإعجاب فى النفوس، رومانتيكى، متفائل، مُصَحَّح غير أنانى يفكر فى غيره قبل تفكيره فى نفسه، وهى شخصية أيضاً نبوءته تحمل إلى جانب حكمة القرون التى مضت توقعات المستقبل الآتى^(١).

وهو على استعداد دائم للدخول فى صراع مر مع العالم من أجل العدالة وهو لا يناضل من أجل نفسه بل من أجل العالم، وهو يطلب الخير حتى لأعدائه^(٢).

أما الفلسطينى فقد ظهر فى أغلب القصص العبرية مهزوماً ضعيفاً، يعمل على توفير القوات له ولأسرته، وظهر فى قصص أخرى فى صورة العميل للدول العربية المجاورة يتسلل إلى إسرائيل ليقوم ببعض العمليات التخريبية ثم يعود لنفس الدولة التى جاء منها^(٣).

أما الفلسطينى الذى بقى داخل إسرائيل فقد صوره الأدب باعتباره مواطناً من الدرجة الرابعة داخل المجتمع الإسرائيلى، حددت له أنواع معينة من الحرف والأعمال المتدنية التى لا يرغب اليهود القيام بها^(٤).

بعد حرب ٦٧ وما تبعها من تلاقى وتواصل بين الفلسطينى فى إسرائيل وأقرانهم فى الضفة والقطاع، دخل الأدب العبرى فى تناوله لشخصية الفلسطينى مرحلة جديدة حاول خلالها تخليق إنسان جديد وتصويره بعد أن فقد كل مقدراته المالية وخابت آماله فى الأمة العربية التى خذلتها فلم يعد أمامه إلا إسرائيل كمصدر رزق وحيد، من هنا أظهرته الأعمال الأدبية فى صورة الإنسان المستأنس الذى انخرط تماماً فى منظومة المجتمع الإسرائيلى^(٥).

لكن من الملاحظ أن حرب إسرائيل على لبنان عام ٨٢ كان لها أكبر الأثر على الواقع الثقافى الإسرائيلى، انعكس ذلك على الأعمال الأدبية فأسفر عن ظهور نتاج أدبى جديد يرصد الظواهر المناهضة للحرب.

وتفجر هذا النتاج الأدبى المعارض تقجيراً هائلاً مقارنة مع ما أفرزته سائر حروب إسرائيل من نتاج مناقض، والتى فرضت على الأدب قيوداً تحت ما يطلق عليه «الإجماع القومى»

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب- المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الذى يفرض على الجميع الانطواء تحت راية المدافع. أو المحاولات المحدودة التي قام بها قلة من الأدباء للخروج عن خط هذا الإجماع فقد قوبل بحملة شرسة محرصة عليه كانت كفيلة بخنق صوته^(١).

فالأديب عاموس عوز والذى كان من بين أوائل الذين رفعوا أصواتهم ضد نظرية الضم والاحتلال وضد اضطهاد الشعب الآخر، بدأ يهدأ صوته وكذلك الأديب فيرهارسمبلانسكى والذى كان واحداً من أشد الساخطين شتاء ٦٧ خف صوته هو الآخر، ولم تكن الحالة التي وصل إليها هذان الأديبان نتيجة مباشرة للهجوم والتحريض الذين تعرضا إليهما فحسب، وإنما أيضاً بسبب اليأس والشعور بالعجز وعدم الثقة بقدرة الأديب الفرد على تغيير الأمور التي يصنعها وزراء وجنرالات وصحف وأحزاب بقوى مؤتلفة مستغلة لذلك كل الوسائل الحكومية التي في حوزتها^(٢).

وكان من الملاحظ أن الأدب الاحتجاجي الذى أفرزته الحرب الإسرائيلية على لبنان انصرف عن الهموم الفنية الخالصة إلى هم مخاطبة جمهور قرائه بشكل مباشر، بهدف التأثير على وعيهم السياسى ودفعمهم باتجاه اتخاذ مواقف محددة نقيضة للحرب والعدوان وسقوط الإنسان في الإنسان^(٣)

وتميز الأدب العبرى في تلك الفترة بعدة مميزات: أولها أنه أدب احتجاجي خرج عما يطلقه السمات الرسمية للوثيقة الأدبية الإسرائيلية والتي تميزت بعدة سمات أولها التدخل في حرية التعبير الأدبي الإسرائيلى، إذا ما جنح إلى مخالفة جوهر أهداف السلطة الإسرائيلية الحاكمة، وهى سمة تستهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين بالإغراءات والضغط من أجل الدعوة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومركزات الفكر الصهيونى عموماً.

ثانياً: الأدب في إسرائيل يواكب أهداف السلطة ويدق لها الطبول وهو أداة في يدها لتحريك الجماهير اليهودية، وهو أدب يحمل سمات الصنعة والافتعال.

وثالثاً: هو أدب يتحرك فقط لخدمة الدعوة الصهيونية، لما يسمى القومية اليهودية وارتباطها التاريخي بفلسطين^(٤).

وإن كان صوت أدب الاحتجاج الإسرائيلى قد ارتفع صوته بعض الوقت، وفوق كل شىء، إلا إنه يصعب الجزم الآن بأنه أدب جماهيري على رغم كونه قد حمل قضية الجماهير وجسد

(١) أسطورة التكوين (الثقافة الإسرائيلية الملتقة) أنطوان شلحت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عذاباتها وطموحاتها، فهو لم يكتسب شرعة (الشارع الأدبي) وإن كان يمارس على نطاق ضيق للغاية دوراً فعالاً في التأثير على الواقع يوازي موضوعياً عملية خدش صخرة صماء^(١).

لكن يبدو أنه حتى هذا الدور له حدود وهو ما ظهر بشكل واضح في رواية «الطريق إلى عين جالوت» للكاتب الإسرائيلي عاموس كنيان، وبالرغم من أنها تندرج تحت ما يسمى بالأدب الاحتجاجي أو «أدب القسوة الإسرائيلي» الذي أفرزته حرب الإبادة على الشعب العربي الفلسطيني في لبنان، وبالرغم من خروجه من منظور الأدب الصهيوني الكلاسيكي، إلا أن الكاتب لم يصور الإنسان العربي أو القضية العربية بشكل محايد، وظهر إصرار واضح على التأكيد «بأن لليهود حقوقاً تاريخية في فلسطين».

وظهر واضحاً أيضاً في الرواية إعجاب المؤلف الشديد بالعسكري الإسرائيلي المتشبث بعنفوانه وعجرفته، ومناقضاً له ثم تصوير الجنود السوريين (ويراد لهم استيحاء صورة متكاملة للعسكريين العرب) في هيئة القساة المتوحشين غلاظ القلوب وهي مقارنة تخفي عنصرية ذات رؤية أشد رجعية في تبرير التفاوت الحضاري للمجتمعات على أساس انتماء الشعوب إلى أجناس عليا وأخرى دنيا فاتجه الباب بذلك لمفاهيم استعمارية من نوع خاص تغفل الزمان والمكان وتختزل التاريخ والحضارة^(٢).

وتأتى رواية «نادية» للكاتبة غلييلة رون فيدر والتي تحكى قصة فتاة عربية تتلقى تعليمها في مدرسة يهودية تصنف بدورها كواحدة من روايات الأدب الاحتجاجي إلا إنها هي الأخرى تقدم رؤية فوقية إزاء العربي بعد ممارسة عملية تكوين مصطنع بحقه على حساب طمس قسّمات وجهه ومعالم وجوده وفي اتجاه تدعيم الكيان الخاص بإسرائيل^(٣).

في ضوء ذلك يمكن القول بأن رواية «نادية» كتبت أساساً وبشكل رئيسي لإعادة صياغة العربي الفلسطيني المقيم في إسرائيل صياغة روحية ونفسية وقومية لتزيين الدعوة إلى ذوبانه في المجتمع اليهودي^(٤).

فنادية منغلقة داخل الإطار الإسرائيلي تمارس دورها فيه بوصفها جزءاً من أقلية مغلوبة على أمرها، وحركتها مرتبطة تماماً بحركة اليهودي المتنور، هذه المعادلة تقول بلا مواربة: إن على العربي في إسرائيل العمل على تحقيق وجوده الخاص داخل المجتمع الإسرائيلي وأن يطرح

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عنه كل الحقائق التاريخية، معنى هذا أن الرواية تصادر الهوية القومية للشخصية العربية في مقابل اغتصاب الأرض واغتصاب حقوق أصحاب الوطن الشرعيين وأولها حقه في العودة إلى وطنه الشرعى^(١).

ولعل قراءة سريعة للرواية تقدم صورة العربى الإسرائيلي الجديد وبطاقته الشخصية ليس كإنسان يسأل وإنما كإنسان يسرق^(٢).

فنادية الفلسطينية ابنة الرابعة عشرة تقرر أن تصبح طبيبة، وفى سبيل ذلك تغادر قريتها وتتجه إلى مدرسة يهودية داخلية وتردد فى نفسها: سأصبح طبيبة، وعلى أن أسجل فى الجامعة العبرية فى القدس، وأعد نفسى للتعلم فى مدرسة ثانوية يهودية، وهكذا فقط ستكون للشهادة قيمة مغايرة. وفى انتقالها إلى المدرسة اليهودية تخلى نادى العربية عن مكانها لنادية الإسرائيلية المعاصرة التى كانت إسرائيل بالنسبة لها تعنى التقدم والتفوق ولا يتأتى ذلك إلا بعد اقتلاع الجذور العربية والذوبان فى الثقافة الإسرائيلية.

رواية نادية تعزز الاتجاه الرفض الذى يكون ذاته وكذلك العربى الذى يطالب برفع القيود التى تحول بين العرب وبين الاندماج فى المجتمع الإسرائيلى الذى يعيشون فيه على أساس الاعتراف بحق شعبه التاريخى بالعودة إلى وطنه الشرعى وإقامة دولته المستقلة.

وأفرز العدوان الإسرائيلى على لبنان - ١٩٨٢ نوعين من الأعمال الإبداعية أحدهما تحلى بواقعية والثانى ظل يعانى التأزم بتأثير الأزمات التى توالى على الصهيونية. من بين الكتاب الذين تحلوا بالواقعية فى تلك الفترة - يهودا يعرى الذى جاء فى كتابه «صوتاً من السكون».

[يصيح من الواضح أن يستحيل إيجاد حل بالقوة لأمر يستحيل حله بالقوة لا يتم إحراز السلام بالقوة مثلما أن الحب لا يتم تحصيله بالقوة، كذلك الأمر بالنسبة للحبيبة والجيرة الحسنة لا يمكن تنصيب رئيس بالقوة وبالقوة لا يمكن نشر الفرح.

الذى يمارس الذبح مصيره أن يمارس الذبح به ذات يوم والذى يجيز الذبح تقوده حياته فى النهاية إلى هوة سحيقة والذى يسيطر بقوة الحراب ستغرز الحراب فى مؤخرته ذات يوم الذى يقطع المياه عن الأولاد تنقطع مياهه عنه وعندما يصرخ الكارثة الكارثة سيجيئون للسان «الكارثة»^(٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شلحت - المرجع السابق.

هكذا ظهرت كتابات تناهض الحرب والقتل بمنطق يميل إلى اليأس من إيجاد مخرج تحت علامات استفهام كبرى ماذا بعد؟ وإلى أين يقودنا العار؟ ماذا يمكننا أن نفعل، يظهر ذلك في قصيدة الشاعر أربييه سفيان يقول فيها:

ماذا يفعل شاعر يشك بأن ملكه ليس سوى الشيطان؟

يجلس على طاولته وينظم قصيدة جيدة.

يذهب بعيداً يغنى ويضع شهادته.

ويعطى من خلالها تعبيراً رمزياً من شأنه.

وبأسلوب الكشف والتستر الدقيق.

جرياً على فهم القصيدة الصحيحة.

أن يظهر الجرعة الزاحفة عليه مثل أفعى سام.

يقرأها الذين يفهمون يتمزقون أنماً.

يشكرون الشاعر بنفس صاحبة على قصيدته الرائعة حتى العظم.

وفي هذه الأثناء يبقى الشيطان واقفاً.

يخطط لمؤامرة رهيبة^(١).

وإذا كانت القصيدة تدعو إلى الرفض والتذمر فإنها في النهاية تشير إلى الانخراط في الإجماع القومى الصهيونى.

وعلى إثر المذبحة البشعة فى مخيمى صابرا وشاتيلا أفرز المجتمع الإسرائيلى نوعين من الثقافة كما حددها الكاتب الإسرائيلى عاموس إيليون- هما ثقافة الذين بقيت فى عروقهم ذرة من إنسانية وثقافة الذين يمجدون «سياسة المجازر والقتل والتدمير».

من بين كتاب المجموعة الأولى:

الشاعر والكاتب الإسرائيلى يهوفتان بتفنين الذى كتب يقول: المرة الأولى فى حياتى أشعر بالخجل لكونى مواطناً فى دولة إسرائيل. دولة يعدم فيها القلب والعقل وتبقى العضلات والأكاذيب. هل حضارتنا للأغيار هى القنابل المضيئة للجزارين؟! لن تفلت من العقاب يا وزير الحزبية فليس جميعنا ساذجاً وليس جميعنا أعمى وليس جباناً، نحن خجلون ولهذا خرجنا إلى الشوارع.. إننا نفخر بانتسابنا إلى معسكر الخجل «إلى معسكر الكذب» بالسيد بيجن، لقد آن الآوان لأن تستيقظ وتقبل حكومة الظلام وفى كل مناسبة تقول أولادنا.

(١) شنت- المرجع السابق.

فمن أجل أولادنا نقول: دع أولادنا يكبرون بدون وصمة قايين. ومن أجل أولادهم - أفضل شيئاً - فأولادهم هم أولادنا أيضاً. قنابلنا المضيئة ليست مناراً للأغيار وإنما موت للأغيار وعاراً لليهود، إننا خجلون وخجلنا هو لجنة التحقيق معكم.

إلا أن هذه الأصوات ظلت ضعيفة وأقل تأثيراً من تلك التي تدعو إلى الإبادة والعنصرية وهو ما حدث أيضاً بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي تفجرت عام ١٩٨٧، وما أسفرت عنه من وجه فلسطيني مقاوم وصامد أمام قسوة وشراسة القوات الإسرائيلية وهو ما دفع الأدب العبري إلى تغيير نظرتة ورؤيته عند تناول شخصية الإنسان الفلسطيني الذي استخدم الحجارة في مواجهة الأسلحة الحديثة التي يمتلكها الجيش الإسرائيلي، من هنا ظهر تيار أدبي جديد يعرف «بأدب الانتفاضة» تناول تأثير تلك الانتفاضة على الفلسطينيين والإسرائيليين على السواء، وعبر عن مدى خوفه من المستقبل الغامض الذي تنتظره إسرائيل إذا ما استمرت هذه الانتفاضة^(١).

وقد برزت العديد من الأعمال القصصية العبرية التي حذرت من أن التاريخ يعيد نفسه من جديد، وأن داوود الذي فاز على خصمه جوليات بالمقلاع ظهر الآن من جديد في صورة الشاب أو الطفل الفلسطيني الذي يتصدى للإسرائيليين بالحجارة والمقلاع^(٢).

من هنا شكل الأدب العبري في سنوات الانتفاضة الأولى مصدر إزعاج للسلطات الإسرائيلية، وحذرها من أن الاحتفاظ بالمناطق الفلسطينية، واحتلالها ليس في صالح إسرائيل بسبب القنبلة السكانية التي يشكلها التواجد الفلسطيني، إلى جانب إظهار إسرائيل في صورة القوة الاستعمارية لتطبق نفس الوسائل التي ادعت أن أعداء اليهود استخدموها ضدهم في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية وما قبلها^(٣).

وأثرت الانتفاضة في شكل ومضمون الأدب العبري وجعلته يلجأ إلى استخدام عنصر الأسطورة في تناوله للإنسان الفلسطيني وكأنه مخلوق قادم من كوكب آخر، مخلوق لا يخشى الدبابات أو الطائرات ويتصدى لها بصدرة العارى وبمجرد حجارة يمسكها في يده، إلا أن إيمانه بقضيته وحتمية انتصار إرادته زادت من قوته وصموده، ومن أبرز الأعمال القصصية التي عكست هذه الرؤية رواية «جذور في الماء» للأديبة روث الموج، والتي أكدت فيها على استحالة تحقيق أى تعايش إسرائيلي فلسطيني في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لجميع أراضي فلسطين،

(١) د. محمد أبو غدير - آخر ساعة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وانتهت إلى أن الخلاص أمام الإنسان اليهودى يتمثل فى الانتقال إلى خارج إسرائيل والاستقرار فى مكان آمن^(١).

من المؤكد أن روث تعد حالة نادرة وشاذة فى إسرائيل، فقد ذهبت بأفكارها وخيالها إلى أقصى ما يمكن أن يحلم به أشد المتفائلين العرب بوضع نهاية للصراع العربى - الإسرائيلى برحيل الصهاينة عن أرض فلسطين، وأعتقد أنه لولا الديمقراطية التى ننعم بها فى إسرائيل لتعرضت للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى للمبادئ الصهيونية.

لكن بالطبع يبقى صوت هذه الكاتبة مجرد نغم شاذ وسط صخب الأصوات الأكثر قوة فى إسرائيل، والتى تؤمن بحتمية الحرب ضد العرب لينتهى الأمر بإبادتهم.

فالعنصرية هى السمة المميزة للمجتمع الإسرائيلى، ولا يشذ الأدب عن تلك القاعدة، وليس أدل على ذلك من «الصراع الدائر الآن داخل إسرائيل» بين اليهود الشرقيين والغربيين، هى حرب يرصدها الأديب الإسرائيلى العراقى الأصل (سمير النقاش) على أنها حرباً ثقافية وأدبية وليست حرباً اجتماعية أو طبقية أو سياسية فقط، والغلبة حتى الآن لصالح الثقافة الغربية، ومن غير المحتمل مستقبلاً أن تتساوى الثقافتان فالإشكنازيم - اليهود الغربيون - لا يتصورون وجود أديب يهودى يكتب باللغة العربية مثلاً^(٢).

ولم يكتب اليهود الغربيون من مصادرة اللغة العبرية ونفى أصلها الشرقى، بل عمدوا أيضاً إلى تغيير نطق بعض حروفها غير الموجودة فى اللغات الأوربية حتى تبدو مناسبة لرغبتهم العنصرية فى اعتبارها رمزاً للانتماء إلى إسرائيل التى يرفضون أن يكون أى وجه من وجوهها شرقى الأصل.

وإذا كان موقف يهود إسرائيل الغربيين على هذه الدرجة من العنصرية تجاه ثقافة يهودها الشرقيين، فإن موقفهم من ثقافة السود ولا سيما الإثيوبيين المعروفين بـ (الفلاشا) هو أشد عنصرية لأنه يقوم على عدم الاعتراف بأية ثقافة خاصة كانت لهم قبل تهجيرهم إلى إسرائيل، وهو ما يؤكد الكاتب الإسرائيلى مردخاى أرتستلى بقوله: «ما يزال باقى سكان إسرائيل يعتبرون الإثيوبيين أناساً بدائيين عديمى الحضارة والثقافة أو هم أقرب إلى قبيلة من الأفارقة السود الذين يحاولون إيجاد وسيلة للاندماج فى سكان إسرائيل البيض الذين مازالوا يعارضون مثل هذه المحاولة، بل وحتى إذا وجد بين اليهود الغربيين من يعترف بامتلاك الفلاشا ثقافة خاصة فإنها تظل من وجهة نظر الإشكنازية العنصرية مجرد ثقافة بعيدة ومتخلفة يبدو أصحابها لباقي سكان إسرائيل كأناس معقدين ومتخلفين^(٣)».

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد توفيق الصواب التجريد العربى/ شبكة المعلومات.

(٣) المرجع السابق.

وهو ما يعنى على حد قول الكاتب الإسرائيلي (نال شاحف) أن على الإثيوبيين أن ينسلخوا عن ثقافتهم الأم وأن يذويوا تماماً فى ثقافة إسرائيل الغربية لكي يصبحوا إسرائيليين صالحين^(١). وفى ظل العنصرية التى يتسم بها المجتمع الإسرائيلي والتى تتحكم بشكل صارخ فى رسم سياستها، من الصعب أن تتصور إمكانية تحقيق السلام، فمزاعم التفوق العنصرى تبدو وكأنها قاعدة وأمر ملم يؤمن به غالبية الإسرائيليين، لذلك لم نلمس حتى الآن أثراً واضحاً لعمل فكرى أو أدبى يطرح صورة مغايرة، فما زالت صورة العربى فى النتاجات الفكرية والأدبية لا تخرج عن تلك الشخصية النمطية المنفرة التى تحتشد كل الملامح السلبية المنفرة فى توصيفها^(٢).

وباعتراف الباحث الإسرائيلي الدكتور حزاي بوروش فإن شخصية العربى فى كتب التدريس والأدب الإسرائيلية لم تتغير ملامحها السلبية، فقد ظلت تلك الشخصية النمطية المشوهة واللاواقعية إلى حد بعيد، الأمر الذى ساهم فى شحن نفسية الإسرائيليين بكرهية العرب وكراهية العملية السلمية، وكل ما يمت بصلة، لأنها تعنى فى أحد نتائجها المحتملة إمكانية التعايش على نحو ما مع العرب دون حروب وصراعات وهو ما يبدو أن المجتمع الإسرائيلى غير مؤهل حتى الآن لتقبله^(٣).

فالتمييز العنصرى الذى تمارسه إسرائيل ضد العرب يبدو متعمداً ومقصوداً ويدخل فى صميم البنية الأيديولوجية للصهيونية، ويعد من بين أهم أهدافها وأهداف السياسة العليا لقادتها. وبشهادة الكاتب الإسرائيلى «موشيه بيجلين» والتى جاءت فى كتابه «الثقافة اليهودية» فإن تلك الثقافة مليئة بالتراث العنصرى الذى يحض على كراهية الغير وشن العدوان عليهم، تراث ملىء بأقوال وفتاوى الحاخامات اليهود والذين ينادون بشن الحرب والقتل والدمار ضد غير اليهود، ويصفون كل من هو غير يهودى بصفات لا إنسانية^(٤).

ويطالب بيجلين الحاخامات بالتعامل مع التراث على هذا الأساس، باعتبار أن التراث اليهودى على مدار التاريخ لم يلتفت لإمكانية وصفه بأنه تراث عنصرى، واكتفى القائمون على إعداد هذا التراث بالعمل على تقوية مصطلحاتهم العنصرية والترويج لها مثلما فعل العديد من دعاة العنصرية من أبناء القوميات الأخرى.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أمين محمد زكى - شبكة الأخبار العربية - محيط ٧-١١-٢٠٠٦م.

وضرب مثالا على ذلك ما جاء في التراث اليهودى بأن الجزء الأفضل من غير اليهود يجب أن يكون القتل وهو ما يعنى أن جزءا الطيبين المخالفين من هذه العقيدة هو القتل^(١).

محاولات الحاخامات اليهود المعتدلين تغيير هذا التراث باءت بالفشل، وهو ما يؤكد مدى تغلغل الفكر الصهيونى المتطرف داخل المجتمع الإسرائيلى، ومثال على ذلك يأتى باعتراف أحد الحاخامات المعتدلين الذى حاول إقناع تلاميذه بالتعامل بالرأفة مع غير اليهود ليقاجأ فى اليوم التالى بتلاميذه يأتون له بدمية على شكل مواطن عربى وأخذوا يمزقون الدمية بأسلوب مهين تعبيرا عما يؤمنون به. أى محاولة لتغيير ثقافة التطرف الصهيونية، تواجه بالتهمة الجاهزة وهى معاداة السامية، وهذا ما تعرض له بيجلين نفسه بعد محاولته تنقية الثقافة اليهودية حيث شنت عليه قوى اليمين المتطرف هجوماً ضارياً انتهى باتهامه بمعاداة السامية.

أيدولوجية الحركة الصهيونية نجحت بشكل كبير جداً فى اختراق عقلية أجيال عديدة من الشباب ولعب الأدباء الصهاينة دورا كبيرا فى ذلك فكتب الأدب العبرى فضلاً عن المناهج التعليمية توجه الشباب اليهود إلى احتقار العرب والتقليل من شأنهم، وهى تخلو من الدعوة للتسامح مع العربى باعتباره مواطناً له حقوق المواطنة الكاملة^(٢).

وتأتى المبالغة فى الاستهتار بالعربى وتحقيره ضمن سياق محاولة تبرير عملية الاجتثاث العربى ورفض إيجاد مجال للحوار بين الطرفين باعتباره عقبة ومصدر إزعاج وباعتباره لصا وقاسيا حتى بالنسبة للقمح الذى يطحنه وبين الأدباء الذين ركزوا على هذه الصورة، الكاتب الإسرائيلى عجنون والذى حصل بفضل كتاباته على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٦٦ بالرغم من تعصبه وتدنى مستواه الأدبى.

ولا نجد فى الأدب العبرى شخصية عربية تحقق نجاحاً أو حتى تعمل فى مهنة مرموقة فلا نجد من يعمل طبيباً أو مهندساً أو أستاذاً جامعياً أو أديباً، ولا نجد رجل قانون عربياً أو عالم آثار، وحتى بفرض وجودها فهى تظهر أقل من نظرائها من الأجانب أو اليهود^(٣).

والعربى فيها أيضاً شاهد زور حتى أصبحت شهادة الزور جزءاً من شخصيته وهو قاتل بحيث أصبحت الجريمة طبيعة له وهو غادر متخلف كسول.. ووضع الكاتب بلانكفورت العربى فى مرتبة أدنى إلى الحيوانية منها إلى البشرية، وهو يجيد الجريمة ويحمل عوامل فئائه فى داخله، وهو مهزوم دائماً فى صراعه مع اليهود.

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب «ديوان العرب» ٢ مايو ٢٠٠٥ - العربى فى الأدب العبرى.

(٣) المرجع السابق.

والعربي في نظره جندي أمي هزيل مريض على درجة من المبالاة بحيث إنهم لا يهبون للقتال ما لم يكونوا محاصرين من زاوية.

وصور الكتاب الإسرائيلي أرثر كوستلر في روايته (لصوص في الليل) الضباط العرب وهم يقاتلون بالسيوف فيطلق اليهود عليهم النار ليتساقطوا كسيقان الحنطة عند الحصاد^(١).

وإذا كان هناك بين الكتاب اليهود من حاول الخروج عن الخط التقليدي السائد في الأدب العبري من خلال تقديم شخصيات فردية عربية بدلاً من الشخصية النمطية إلا إنهم اعتبروا العربي الإيجابي هو العربي الموالي للصهيونية، ومع ذلك فإنهم يضعونه في مرتبة ثانوية قياساً للإنسان اليهودي^(٢).

من هؤلاء يتسحاق شامى الذى وصفه وصفاً خارجياً وجسدياً كما اختار بنيامين تموز شخصيات عربية متدنية الثقافة.

كما شعر بعض الكتاب اليهود بالذنب تجاه العربي فقاموا بكتابة بعض القصص التى يعترفون خلالها، ما ارتكبه اليهود ضد العرب، وتعاطف أحدهم - شامير - مع العربي ضد اليهودى المستغل وذلك من خلال انحيازه لصرخة الكادحين المظلومين بغض النظر عن قوميتهم، كما لم يخف الكاتب - تموز - عن تعاطفه مع عرب القرية الذين طردوا من أراضيهم فى قصة شجرة الزيتون، كما أنه لم يخف نفوره من المهاجرين الجدد الذين استولوا على أراضى العرب وقد جعل شجرة الزيتون رمزاً لعراقة أصحابها، فالعربي عريق فى هذه البلاد، وتضرب جذوره فيها كما تضرب شجرة الزيتون جذورها. وهو يعتبر العرب أبناء البلاد الحقيقيين^(٣).

هؤلاء الكتاب الذين عارضوا الصهيونية بعد خيبتهم أملهم فيها إلا أن أصواتهم هم - وغيرهم - مازالت الأضعف وسط النغمة العنصرية السائدة.

أكثر من باحث أدبى إسرائيلى أمسوا يدركون - فى ضوء أحداث السنوات الأخيرة أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي وانعدام أية تسوية سياسية فى الأفق نتيجة لسياسة الحكام الإسرائيليين، يؤدى إلى ازدياد نفوذ العناصر المتطرفة من أمثال كهانا وإلى تفشى الروح الفاشية فى المجتمع.

وأخطر مظاهر العنصرية ليس فى ممارسة الإسرائيليين اليومية أو فى تقاعسهم عن بذل الجهد لوقف سياسة الإبادة التى تمارسها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى قمعاً وتنكيلاً

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

واختلاصاً وسرقة ونصباً على ما فى كل ذلك من خطورة لا يستهان بها، ولكن أخطر مظاهر العنصرية هو فى كونها ثقافة، تحدد نمط أو أسلوب حياة المجتمع الإسرائيلى. فلكى يضمن الكيان الإسرائيلى وجوده السياسى الجائر على حساب الشعب الفلسطينى، أرضاً وكياناً ووجوداً أو حقوقاً فإنه أرسى ويرسى ثقافة عنصرية ولكى يجرّد مواطنيه من أية هوامش إنسانية بسهولة أكثر وبهدوء أكثر فإنه لا يضع الأغلال التى تكبل إنسانيتهم فى أيديهم أو فى أقدامهم فحسب وإنما يضعها فى «منبت رءوسهم» وعن طريق ذلك تدير الصهيونية، عملية إدراج شعبيها لمحركين (بفتح الراء) فى الممارسات الاجتماعية المختلفة فى المواقع المختلفة التى تحددها وكذلك عن طريق وضعهم فى قالب نفسى وثقافى مع ما تتطلبه مهامهم وأدوارهم^(١).

يتضح من ذلك أن الوظيفة الأساسية للثقافة فى إسرائيل مشوهة بشكل خطير، وهذا التشويه شامل ومؤثر على المجتمع كله، وهكذا ينشأ نمط معين من الإدراك والتفكير يتولد تلقائياً من مسائل أشبه بالبيدييات المسلم بها (راسخة فى العقل)^(٢).

وعندما يقول مراقب ثقة: إن المجتمع اليهودى فى إسرائيل غير متجانس تماماً فلا ينقل بذلك الواقع كما هو؟ فإن هذا الوصف لا يستمد مشروعيته الواضحة فقط من الهوية الاجتماعية العميقة ومن الفوارق الكبيرة فى شرائحة الاجتماعية المختلفة.

وإنما يستمد ذلك مما هو قائم من صراع حضارى يخفى وراءه قمعاً حضارياً قاسياً بين الغرب والشرق فى الثقافة اليهودية ذاتها. ولعل الصراع الراهن العنيف الذى تشهده مساحة علم الاجتماع حول ما إذا كانت إسرائيل دولة غربية أم دولة شرقية كاف للتدليل على عدم التجانس الذى نتحدث عنه^(٣).

ولا يقتصر هذا الصراع على علم الاجتماع دون سائر مضمارات الثقافة اليهودية بل ينسحب على النتاجات الأدبية والفنية التى تسهم بشكل كبير فى تأطير انتماء إسرائيل الحضارى. ففى هذه النتاجات نجد بداية أن البطل الإشكنازى الأجنبى المتحكم يتمتع بمواصفات تكرر فوقيته تجمع بين القوة والعلم والحنكة فى حين لا يتمتع (البطل) السفاردى والشرقى من المواصفات المذكورة وإنما هو نموذج بدائى ومتخلف ولا يدنو من الحضارة الأمر الذى يبرر دونيته. لذلك فإن الأدب الذى نقرأه فى إسرائيل والفن الذى نشاهده أو نسمعه فيها ليلى إلا أدباً وفناً

(١) شلحت- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

يقومان على القمع الحضارى لغثاء واسعة يفترض أن تكون من مريديهما ناهيك عن موقفهما العنصرى الشوفينى إزاء شخصية العربى عموماً^(١).

فى جميع النتاجات الثقافية دون استثناء تعرض البطل السفاردى - الشرقى - إلى عملية تجريد سلبية - قولبة على صعيدى الشكل والحضور، أما على صعيد المضمون فإن هذا البطل يخجل من حضارته البدائية ومن أصله «القدر» ولا يعمل ويعيش على الإجمام ضمن منبوذى «العالم السفلى» فى المهن البسيطة التى لا يحتاج صاحبها إلى التمتع بذكاء خارق وموهبة وثقافة واسعة^(٢).

ومن الواضح أن الأدباء اليهود لم يقدموا صوراً إيجابية حقيقة للعربى، وظلوا أسرى لنظرية الفراغ السكانى، والتى استند الكتاب اليهود إليها والتى تزعم أنه خلال الألف أو الألفى عام الماضية لم يكن هناك أى وجود فيها - أرض بلا شعب - ومنهم من زعم أن الحروب الصليبية قضت على الوجود العربى فى فلسطين، وفى إحدى الروايات - الغيبة - صورت مؤلفتها - يائيل ديان - فلسطين على أنها صحراء فضاء وأنها فارغة تأكيداً على عدم وجود أية حياة فيها. وعلى العكس صورت الأعمال الأدبية اليهودية - اليهودى على أنه داعية سلام يمد يده عارضاً السلام على العرب ولكن هؤلاء يرفضون اليد الممدودة لأن العربى لا يؤمن بالسلام ولا يحكم العقل، لأنه يفتقد الشفقة وصاحب ضمير مخرب.

هنا كانت دعوة الأدب الصهيونى بعد مفاوضات كامب ديفيد إلى السيطرة الفكرية على العرب لأنها تحقق ما لم تحققه الجيوش دون خسائر مادية أو بشرية.

ولأنه أسير للفكر الصهيونى وأداة لتوظيف لخدمة السياسة لذلك يظل الأدب العبرى مجرد «أدب دعائى فج ومباشر مفتقداً للعناصر الفنية والإبداعية».

الصلة بين المؤسسة الحاكمة والأدب تبدو وثيقة للغاية، وفى وزارة الخارجية مكتب لترجمة الأدب العبرى إلى اللغات الأجنبية. والدولة الإسرائيلية تشرف بنفسها على تسويق الأدب العبرى عالمياً^(٣).

هكذا يتم توظيف الأدب لخدمة السياسة الإسرائيلية وهو ما كشفه الشاعر الفلسطينى محمود درويش بقوله: [ثمة حال من الصراع بين الشعر الفلسطينى والشعر الإسرائيلى، صراع فى اللغة حول من يمتلك المكان واللغة وحول من يسيطر على موضوع المكان أفضل من الآخر، فالصراع قائم.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحياة - حوار: محمود درويش - سبتمبر ٢٠٠٥.

ويضيف: عندما أقرأ للشاعر الإسرائيلي يتغنى بأرض فلسطين أشعر بأن الصراع بيننا ليس عسكرياً فقط وإنما نحن مدفوعون إلى صراع ثقافى عميق.

ويضيف: هناك شاعر كبير إسرائيلي أحب شعره هو يهدا عيمحاي لم يدع مكاناً فى فلسطين التى يسميها أرض إسرائيل- إلا وكتب فيه قصائد وبعضها جميل جداً. وتخرج الشاعر الفلسطينى فهو لم يشعر بأنه محتاج إلى تقديم براهين على حقه بالمكان، وعلاقته بالأرض تلقائية وعفوية ولا تحتاج لأيدولوجية أو تبرير أما الشاعر الإسرائيلى الذى يعرف كيف تم مشروعه وماذا كان قبل إسرائيل ويعرف أن هذا المكان له اسم آخر هو فلسطين يبدو أنه فى حاجة لشحن كل طاقته الإبداعية من أجل امتلاك المكان، باللغة كجزء من المشروع الاستيطانى وهذه مسألة مخيفة فعلاً من يكتب المكان بشكل أجمل يستحق المكان أكثر من الآخر؟ قد يكون هناك شعب لا شعراء له، فهل يكون من حق الآخر أن يحتله فالجدارة الأدبية لا تعطى حقاً للسلاح أن يملك شرعية. فى إسرائيل يحاولون بالطبع تجريد الشعب الفلسطينى من ثوراته الإبداعية كى يقولوا إنهم جاءوا إلى أرض شعبها غير متحضر وغير متمدن وأنهم يحملون رسالة التحضير والتحديث^(١).
كتابات الأدباء والشعراء تعكس مدى الوهم المسيطر على العقليّة الإسرائيليّة بما فيها عقليّة المثقفين أنفسهم.



(١) محمود درويش- المرجع السابق.